﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾ [الأعراف: 11]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

التَرغيبُ في قَبُولِ دَعْوَةِ الأنْبِيَاءِ يَكْتَنِفُهُ التَّرهيبُ مِنَ النِّقَمِ وَالتَنْبيهُ عَلى النِّعَمِ

رغَّبَ ﷻ الأُمَمَ في قبولِ دعوةِ الأنبياءِ - ﷺ - بالتَّخويفِ أوَّلًا ثمَّ بالتَّرغيب ثانيًا، والتَّرغيبُ إنَّما كان لأجلِ التَّنبيه على كثرةِ نِعَم اللهِ تعالى على الخلق، فبدأ بشرحِ تلك النِّعم بقولِه: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾ ثمَّ أَتْبَعَه بذكرِ أنَّه خلقَ آدمَ وجعلَه مسجودًا للملائكة.

والإنْعامُ على الأبِ يَجري مَجْرَى الإنعامِ على الابنِ، والمقصودُ تقريرُ أنَّ مع هذه النِّعم العظيمة لا يليق بالأُمَمِ التَّمرُّدُ والجحود؛ بل الأحقُّ والأَوْفى هو شكرُ المنعمِ على سابغِ نِعمه، وأعظمُ الشُّكرِ هو توحيدُه تعالى فلا يُعبدَ معه سواه، والتزامُ دينه وشريعتِه ودَعْوَةِ أنبيائه ورُسُلِه[1].

قِصَّةُ السُّجودِ لآدَمَ وَمَا فيها مِنِ امْتِثَالٍ وَامْتِنَاعٍ وَأَمْرُ اللهِ آدَمَ وَنَهْيُهُ وَالمِنَّةُ عَلَى الخَلْقِ

وأيضًا لما تَقَدَّمَ في الآيات السابقة ما يَدُلّ على تَقْسيم المُكَلَّفين إلى طائعٍ وعاصٍ، أَخَذَ يُنَبِّهُ على أنَّ هذا التقسيمَ كان في البَدْءِ الأَوَّلِ مِنْ أَمْرِ اللهِ تعالى الملائكةَ بالسُّجودِ فامْتَثَلَ مَنِ امْتَثَلَ وامْتَنَعَ مَنِ امْتَنَعَ، ومِنْ نَهْيِه تعالى آدَمَ وأمرِه، وما وقَعَ من آدمَ فحكى عنه في هذه الآية وما يليها، مُستفتحًا ببيانِ مَوضع الاعتبار وإظهار المِنَّة على الخلق بالإيجاد من العَدم، والتّصوير في هذه الصورة البَديعة[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾: صَوَرَ: الصَّادُ والواوُ والرَّاءُ كلماتٌ كثيرةٌ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/205، والبقاعي، نظم الدُّرر: 7/362.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 5/15.

مُتباينةُ الأصول، ومن ذلك الصُّورة، صورةُ كلِّ مخلوق، والجمعُ صُوَر، وهي هيئةُ خِلْقته، واللهُ تعالى البَارِئُ المصوِّرُ، قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: 24]، ويُقالُ: رجلٌ صَيِّرٌ إذا كان جميلَ الصُّورة[1].

والصُّورةُ: ما يُنْتَقَشُ به الأعيانُ، ويَتميَّزُ بها عن غيرِها، وذلك ضَرْبان: أحدُهما: محسوسٌ يُدْرِكُه الخاصَّةُ والعامَّة، بلْ يُدْرِكُهُ الإنسانُ وكثيرٌ منَ الحيوان، كصورةِ الإنسانِ والفَرَس والحِمَارِ بالمعايَنَةِ. والثَّاني: معقولٌ يدركُه الخاصَّةُ دونَ العامَّة، كالصُّورةِ الَّتي اخْتُصَّ الإنسان بها من العقل، والرَّوِيَّةِ، والمعاني الَّتي خُصَّ بها شيءٌ بشيءٍ. وإلى الصُّورتين أشارَ بقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: 64][2]، وبقولِه تعالى في الآيةِ الَّتي معنا: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: 11]، أي: صوَّرناكم في أرحامِ النِّساء، أو خلقَ الإنسانَ في الرَّحِم، ثمَّ صوَّرهُ، فَشَقَّ سمعَه وبصَرَه وأصابعَه[3].

2) ﴿إِبْلِيسَ﴾، بَلَسَ: الباءُ واللَّامُ والسِّينُ أَصْلٌ واحد يدُلُّ على اليأسِ، يُقال: أَبْلَسَ إذا يَئِسَ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون: 77]، ومن ذلك اشْتُقَّ اسْمُ إبْليس، كأنَّه يَئِسَ من رحمةِ الله.

والإبلاسُ: الحُزْنُ المعترضُ من شدّةِ البأس، يُقال: أَبْلَسَ، ومنه اشْتقَّ إبليسُ فيما قيل، قالَ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الرُّوم: 12][4].

ويمكنُ أن يكونَ المعنيان داخلَين في تركيبة اسْم إبْليسَ - لعنه الله - فهو آيسٌ من رحمة الله، شديدُ الحُزن على اعتراضه على أمرِ الله وكِبْره عليه، وكيف لايكون كذلك، وقد لعنَه اللهُ وطردَه من رحمته؟ لكنَّ حُزنَه ليس حُزنَ ندمٍ على كبرِه وتحدِّيه لأمرِ الله ﷻ، ولو كان بعد لعن اللهِ له؛ فلا فائدةَ منه مَرجُوَّة.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُنبِّهُ اللهُ تعالى بني آدمَ في هذا المقام على شرفِ أبيهم آدمَ ﷺ ويُبيِّن لهم عداوةَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صور).
(2) الرّاغب، المفردات: (صور).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 8/127 - 128، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/188.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بلس)، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (بلس).

عدوِّهم إبليس، وما هو مُنْطَوٍ عليه من الحَسَدِ لهم ولأبيهم آدم؛ ليحذروه، ولا يتَّبعوا طرائقَه، وذلكَ أنَّه تعالى لَمَّا خلقَ آدمَ ﷺ بيده من طينٍ لازبٍ، وصوَّرَه بشرًا سَويًّا ونَفخَ فيه من رُوحه، أمرَ الملائكةَ بالسُّجود له تعظيمًا لشأنِ اللهِ تعالى وجلالِه، فسمعوا كلُّهم وأطاعوا إلَّا إبليسَ لم يكنْ من السَّاجدين[1].

تَبْيينُ اللهِ تَعَالَى عَدَاوَةَ إِبْلِيسَ لِخَلْقِهِ وَلِأَبِيهِمْ آدَمَ ﷺ وَالتَّحْذِيرُ مِنْها

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### بلاغةُ عطفِ الآيةِ على سابقتِها:

هذا العطفُ نستلُّه من مناسبةِ الآيةِ لما قبلَها، حيث حدَّثَنا بيانُ اللهِ، فقالَ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فجاء العطفُ تذكيرًا بنعمةِ إيجاد النَّوع، وهي نعمةُ عنايةٍ ورعايةٍ عظيمة؛ لأنَّ الوجودَ أَشْرَفُ من العَدَم، بغضِّ النَّظَرِ عمَّا يعرِضُ للموجودِ من الأكْدارِ والمتاعب، وبنعمةِ تفضيلِه على النَّوْعِ بأن أمرَ الملائكةَ بالسُّجود لأصله. وأُدمجَ في هذا الامْتنانِ تنبيهٌ وإيقاظٌ إلى عداوةِ الشَّيطانِ لنوعِ الإنسان من القِدَم، ليكونَ ذلكَ تمهيدًا للتَّحذيرِ من وسْوَسَتِه وتضليلِه، وإغراءً بالإقْلاعِ عمَّا أَوْقعَ فيه النَّاسَ من الشِّركِ والضَّلالة، وهو غرضُ السُّورة الَّتي سَعتْ لترسيخِه والدَّعوةِ إليه، وذلكَ عندَ قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 27]، وما تلاه من الآيات، فلذلكَ كان هذا بمنزلةِ الاسْتدلالِ وُسِّطَ في خلالِ الموعظة[2].

لِلتَّذْكيرِ بنعمِ سابقةٍ، وأخصُّها الإيجادُ، ولِلتَّنبيه إلى عداوةِ الشَّيطانِ للحذرِ منه

### المرادُ بالخطابِ في الآيةِ:

الخطابُ في الآيةِ للنَّاسِ كلِّهم توطئةٌ لقولِه فيما يأتي: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 27]، ويدخل فيه المشركون؛ لأنَّهم الغَرضُ الأساسُ في هذه السُّورة، فهم

الخطابُ للنَّاسِ كافَّةً

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/188، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 238.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/325، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/36.

الَّذين سوَّلَ لهمُ الشَّيطانُ كُفرَ هذه النِّعم، لقولِه عَقِبَ ذلك: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الأعراف: 28]، وقولِه فيما تقدَّم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: 3][1].

## دَلالةُ المؤكِّداتِ في الآيةِ:

دلَّت المؤكِّداتُ على تحقيقِ كفرِهم باللهِ إلهًا وخالقًا، وبيانِ تناقُضِهم لإعادتِهم إلى الحقِّ

تأكيدُ الخبرِ بلامِ القَسم وحرفِ (قد) المفيدِ التَّحقيقَ، تنزيلٌ للمُثبت مَنزلةَ مَنْ يُنكرُ مضمونَ الخبر؛ لأنَّهم لَمَّا عبدوا غيرَ اللهِ كان حالُهم كحالِ مَنْ يُنكرُ أنَّ اللهَ هو الَّذي خلقَهم وصوَّرهم، ولبيانِ أنَّ من يُشركونَه معه في العبادةِ أو يجعلونَه واسطةً تُقرِّبهم إلى اللهِ زُلْفى، كما كانوا يدَّعون، هو مخلوقٌ مثلُهم، فكيف يعبدونَه من دونِ اللهِ، أو يشركونَه معه في العبادة؟

قالَ تعالى مبيِّنًا تناقضَهم في هذه القضيَّة المهمَّة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: 25]، ثمَّ هم أنفسُهم قالَ اللهُ عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمر: 3][2].

## معنَى ﴿ثُمَّ﴾:

تراخيَ التَّصويرِ عنِ الخَلْق

عُطِفتْ جملةُ ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ بـ﴿ثُمَّ﴾ الدَّالةِ على تَراخي رُتبةِ التَّصويرِ عن رُتبة الخلق، والمعنَى: إنَّا بَدأْنا خلقَ آدمَ، ثمَّ صوَّرناه، فابْتداءُ خَلْق آدمَ التراب، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59]، ثمَّ وقعتِ الصُّورةُ بعد ذلك، أي: هذا أصلُ خلقكم، ثمَّ إنَّما هي لما بعدُ[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/36 - 37.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/33، 36.

(3) الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/321، 322، وقد نَعى الزَّجّاج على من ذهب إلى أن (ثمّ) هنا في معنى الواو، فقال: "زعم الأخفش أنَّ (ثمّ) ههنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه، وجميع من يُوثَق بعربيَّته، إنَّما (ثمَّ) للشيء الَّذي يكون بعد المذكور قبله لا غير"، وينظر: السَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 5/260.

### فائدةُ عطفِ التَّصويرِ على الخَلق:

لبيانِ أنَّ التَّصويرَ إتمامٌ للخَلقِ على أَتْقَنِ صورة

عُطفت جملةُ ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ على جملةِ ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾، لبيانِ أنَّ التَّصويرَ حالةُ كمالٍ في الخلق، بأنْ كان الإنسانُ على الصُّورةِ الإنسانيَّةِ المتقنَةِ حُسْنًا وشرَفًا، بما فيها من مشاعرِ الإدراكِ والتَّدبير، سواءٌ أَكَانَ التَّصويرُ مقارنًا للخَلْقِ كما في خَلقِ آدم، أم كانَ بعدَ الخلقِ بمدَّة، كما في تصوير الأجنَّةِ من عظامٍ ولحمٍ وعصبٍ وعروقٍ ومشاعر، كقولِه تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14][1].

### نكتةُ تعلُّقِ فعلَيِ الخلقِ والتَّصوير بضميرِ المخاطَبين:

هي توفيةٌ لمقامِ الامْتنان، وتأْكِيدُ وُجُوبِ الشُّكْرَان

نُسبَ الخلقُ والتَّصويرُ إلى المخاطَبين مع أنَّ المرادَ بهما خلقُ آدمَ وتصويرُه ﷺ حتمًا، تَوْفيةً لمقامِ الامْتنانِ حقَّه، وتأكيدًا لوجوبِ الشُّكر عليهم بالرَّمز إلى أنَّ لهم حظًّا من خَلْقِه ﷺ وتصويره، لِمَا أنَّهما لَيْسا من الخصائصِ المقصورةِ عليه ﷺ كسجودِ الملائكة له ﷺ بل من الأمورِ السَّاريةِ إلى ذُرِّيته جميعًا إذِ الكُلُّ مخلوقٌ ضمن خَلْقِه وتصويرِه، أي: خلقْنا أباكم آدمَ طينًا غيرَ مُصوَّر، ثمَّ صوَّرناه أبدعَ تصويرٍ وأحسنَ تقويمٍ سارَ إليكم جميعًا[2].

### نكتةُ التَّعبيرِ وبلاغةُ الإيجاز في: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

لبيانِ أنَّ إيجابَ السُّجودِ للملائكة كان بعدَ فضلِ اللهِ على آدمَ بخلقِه وتصويرِه بشرًا سويًّا

في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ دليلٌ واضحٌ على أنَّ المخلوقَ والمصوَّرَ هو آدمُ ﷺ ومعنَى الكلام: خلَقْنا أَصْلَكم، وصوَّرناهُ، فبرَزَ موجودًا مُعيَّنًا بآدم، فإنَّ التَّسميةَ طريقٌ لتعيين المسمَّى، ثمَّ أَظْهَرْنا فضلَه وبديعَ صُنعِنا فيه، فقُلْنا للملائكة: اسْجدوا له، فوقعَ إيجازٌ بديعٌ في نَسْجِ الكلام[3].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/325 - 326، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/36.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/325، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/37.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/325، وابن عاشور، التَّحري والتَّنوير: 8/37.

**دَلالةُ ﴿ثُمَّ﴾ في قولِه: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:**

دلَّت (ثُـمَّ) على التَّراخي الرُّتْبِيِّ

﴿ثُمَّ﴾ هنا عاطفةُ الجملةِ على الجملة، فهي مُقيَّدةٌ للتَّراخي الرُّتْبي لا للتَّراخي الزَّماني، وذلك أنَّ مضمونَ الجملةِ المعطوفةِ هنا أرقَى رُتبةً من مضمونِ الجملةِ المعطوفِ عليها[1].

**معنى (ال) في ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:**

(الـــــــــ) في (لـلـمـلائـكـة) لـلـجـنـسِ أو للعهدِ

تعريفُ الـ في ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ للجنسِ، أي: لجميع الملائكة، أي: قلنا للملائكةِ جميعِهم اسْجدوا لآدم،

وللعهد، أي: الملائكة الَّذين عَهِدَ إليهم اللَّهُ تعالى بعدَ خلقِ اللَّهِ لآدم ﷺ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، ثمَّ تعليمُ اللَّهِ آدمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثمَّ عَرْضُهُمْ على الملائكةِ إلى أن قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ [البقرة: 31 - 34].

ويعني هذا: أن يكونَ المأمورون هم الملائكة الَّذين كانوا في المكانِ الَّذي خُلِقَ فيه آدم، ويَحْتَمِلُ اسْتِغراقَ الجنسِ كما تقدَّم، وطريقُ أمرِهم جميعًا وسجودِهم جميعًا لآدمَ لا يعلمُه إلَّا اللَّه؛ لأنَّ طُرُق علمِهم بمرادِ اللَّهِ عنهم في العالمِ العلويِّ لا تُقاسُ على المألوفِ في عالَمِ الأرض[2].

**دَلالةُ الأمرِ في ﴿ٱسْجُدُواْ﴾:**

الأمرُ للوجوبِ، ولا يُعطي دَلالةً خاصَّةً في مكانِ هذا الأمر

الأمرُ يقتضي الوجوبَ، وأَمْرُ اللَّهِ لابدَّ أن يُنفَّذَ خاصَّةً من قِبَلِ الملائكة الَّذين قالَ اللَّهُ عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التَّحريم: 6].

وأَمْرُ اللَّهِ الملائكةَ بالسُّجودِ لآدمَ إكرامًا له وإظهارًا لفضلِه،

(1) السَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 5/261، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/38.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/326، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/38.

وهذا الأمرُ لا يقتضي أن يكونَ آدمُ قد خُلِقَ في العالمِ الَّذي خُلِقَ فيه الملائكة، بل ذلك مُحْتمِل، وكذلك فإنَّ الآيةَ ليستْ نصًّا في أنَّ آدمَ خُلِقَ في السَّماوَاتِ، ولا أنَّه في الجنَّة، وإن كانَ ظاهرُها يقتضي ذلك، وبهذا الظَّاهرِ أخذَ جمهورُ أهلِ السُّنَّة[1].

**معنَى اللَّام في ﴿لِآدَمَ﴾:**

اللَّامُ للتَّعليلِ أو الاستحقاقِ

دلَّتْ هذه التَّسميةُ على أنَّ المخلوقَ والمصوَّرَ هو آدم، ومعنَى الكلام: أمرَ اللَّهُ الملائكةَ بالسُّجودِ لأجل آدم، أو لأنَّه مستحقٌّ لذلك بما هيَّأه اللَّهُ فيه لهذه المهمَّة بظهورِ فَضْلِ ما علَّمه اللَّهُ من الأسماءِ مالم يُعلِّمه الملائكة، فأظهرَ اللَّه فضلَ بديع صنعِه فيه[2].

**معنَى الفاءِ في ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾:**

الفاءُ للتَّرتيبِ والتَّعقيبِ

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ للتَّرتيبِ والتَّعقيبِ، أي: فبادَروا كلُّهم بالسُّجودِ امْتثالًا لأمرِ اللَّهِ ﷻ من غيرِ تلعثُم[3].

**نوعُ الاستثناءِ في قولِه: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾:**

الاستثناءُ هنا متَّصلٌ أو منقطع

الاسْتثناءُ في قولِه تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ استثناءٌ مُتَّصلٌ لما أنَّه كان جنِّيًّا مفردًا مغمورًا بألوفٍ من الملائكة مُتَّصفًا بصفاتِهم، فَغَلَبوا عليه في ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾، ثمَّ اسْتثنى واحدٌ منهم من السُّجود، والأفضل أن يكونَ اسْتثناءً منقطعًا، فحينئذٍ يكون مُتَّصلًا بما بعدَه، أي: لكنَّ إبليسَ لم يكن من السَّاجدين[4].

**الموقعُ النَّحويُّ والبيانيُّ لقولِه: ﴿لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾:**

هذه الجملة إمَّا حالٌ، أو استئنافيَّةٌ

جملةُ ﴿لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ حالٌ مُؤكِّدةٌ لمضمونِ عاملِها، وهو ما دلَّتْ عليه أداةُ الاسْتثناء، لما فيها من معنَى: أَستثني؛ لأنَّ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/38.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 7/364، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/37.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 7/364، وأبو السُّعود، الإرشاد: 2/327.
(4) الزَّجّاج، معاني القرآن: 2/322، ومكيّ، مشكل إعراب القرآن: 1/284، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/327.

الاستثناءَ يقتضي ثبوتَ نقيض حكمِ المُستَثنَى منه للمُستَثْنى، وهو عينُ مدلولِ ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ فكانت الحالُ تأكيدًا[1].

ويمكنُ أن تكونَ هذه الجملةُ استئنافيَّةً مبيِّنَةً كَيْفِيَّةَ عدمِ السُّجودِ المفهومِ من الاستثناء، فإنَّ عدمَ السُّجُودِ قد يكونُ للتأمُّل، ثمَّ يقعُ السُّجودُ وبه علمٌ أنَّه لم يقع قطُّ[2].

### معنَى ﴿لَمْ﴾:

النَّفيُ التَّامُّ للسُّجود

دلَّت ﴿لَمْ﴾ عَلَى الإِخْبَارِ التَّامِّ عن نفيِ سجودِه بجعلِه من غيرِ السَّاجدين، فقلبت معنى المضارعيَّةِ إلى معنى الماضويَّةِ، أي: ما كان ساجدًا، إشارةً إلى أنَّه انْتفى عنه السُّجودُ انْتفاءً شديدًا[3].

### نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿يَكُن﴾:

بيانُ تجدُّدِ استمرارِ نكوصِهِ عن أمرِ اللهِ

قولُه: ﴿يَكُن﴾ بصيغةِ المضارعِ تدلُّ على أنَّه أبَى السُّجودَ، وتجدَّدَ إباؤه، واستمرَّ على عصيانِه لأمرِ اللهِ، والدَّليلُ المؤكِّدُ أنَّه علَّل عدمَ سجودِه بصيَغٍ عديدةٍ في القرآن الكريم كلِّها تُجلِّي رفضَه تَنْفيذَ أمرِ اللهِ بالسُّجودِ لآدم[4].

### معنَى ﴿مِّنَ﴾ و(ال) في قوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾:

لم يكنْ من طائفةِ الملائكةِ السَّاجدين

أشَارَتْ ﴿مِّنَ﴾ إلى معنى التَّبعيض، أي: لم يكن بعضًا من السَّاجدين، ويمكن أن تكون ﴿مِّنَ﴾ ابتدائيَّةً، وأمَّا (الـ)؛ فهي عهديَّةٌ تعود على الملائكة المأمورين بالسُّجود، إشارة إلى أنَّه لم يُقدَّرْ له أن يكونَ من الطَّائفةِ السَّاجدين، أي: انْتفى سجودُه انتفاءً لا رجاءَ في حصولِه بعدُ[5].

---

(1) العكبري، الإملاء: 1/269، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/327، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/38 - 39.

(2) السَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 5/261، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/327.

(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/327، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/39.

(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/39.

(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/39.

## بلاغةُ المتشابهِ اللَّفظيِّ مع آياتِ السُّجودِ الأُخرى في القرآن:

اعـتراضُ إبليسَ وتكبُّره على اللهِ ﷻ

في قولِه ﷻ: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ بيانُ أنَّ إبليسَ لعنَه اللهُ لم يكنْ ممَّن سجدَ لآدمَ ﷺ معترضًا على اللهِ متكبِّرًا على الامتثالِ لأمرِه تعالى.

وقد وردَ لهذه الآيةِ نظائرُ في القرآن الكريم في بيانِ عدمِ سجودِ إبليسَ لعنَه اللهُ لآدمَ ﷺ بصيَغٍ مختلفةٍ وأساليبَ متنوِّعة، ومن هذه الآيات:

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر: 31]، و﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: 74]، و﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11]، و﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه: 116].

يتبيَّنُ من خلالِ الآياتِ السَّابقةِ أنَّ بيانَ اللهِ اسْتخدَمَ الفعلَيْن ﴿أَبَىٰ﴾ و﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ في حقِّ إبليس - لعنَه اللهُ - بقولِه: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه: 116] وقولِه: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: 34] أو بغيرِهما.

وفي سورةِ طه وردَ في معصيةِ آدمَ أنَّه نسيَ بقولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ أي: عن جَهْل، أمَّا إبليسُ فـ﴿أَبَىٰ﴾ [طه: 116] أي: عن عمد.

وفي الحِجْر تميَّزتِ السُّورةُ بالتَّكرارِ لذا جاءَ فيها ﴿أَبَىٰٓ﴾ [الحجر: 31].

وفي سورة (ص) جاءَ ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ [ص: 74]؛ لأنَّ السُّورة بُنيتْ على اسْتكبارِ الكَفرةِ وكونِهم ﴿فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص: 2].

وسورةُ البقرة جمعتْ بين التَّعبيرَيْن، وفي جميعِ السُّوَرِ جاءَ لفظُ (أبَى) عدا سورة الأعراف و(ص) لم يأتِ فيهما (أبَى).

وجاء السِّياقُ مختلفًا لا يحدثُ فيه لَبْس في سورتي الإسراءِ والكهفِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: 61].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: 50].

وقولُه في الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾ وفي (ص): ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾ [ص: 75] وفي الحِجْر: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ [الحجر: 32] بزيادةِ ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ﴾ في السُّورتَين؛ لأنَّ خطابَه قرُبَ من ذكرِه في هذه السُّورة، وهو قولُه: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾ فَحَسُنَ حَذْفُ حرفِ النِّداءِ والمنَادَى، ولم يقربْ في سورة (ص) قُربَه منه في هذه السُّورة؛ لأنَّ في سورة (ص): ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: 74] بزيادةِ ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ فزادَ حرفَ النِّداء والمنادَى، فقالَ: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ﴾ وكذلك في الحِجْر، فإنَّ فيها: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر: 31] بزيادة ﴿أَبَىٰٓ﴾، فزادَ حرفَ النِّداء والمنادَى، فقالَ: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾[1].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### (إبليس) و(الشَّيطان) و(الجنّ):

إبليسُ أوْلى بالسِّياقِ فهو أصلُ الجنِّ والشَّياطين، وأيسَ من رحمةِ الله لتكبُّرِهِ على أمرِهِ ﷻ

الشَّيطانُ هو الشِّرِّيرُ من الجنِّ وهو من شطنَ، أي: تباعد، ولهذا يُقالُ للإنسانِ إذا كان شرِّيرًا: شيطان، ولا يُقالُ جنِّي؛ لأنَّ قولَكَ: شيطان، يُفيد الشَّرَّ، ولا يُفيدُه قولُك: جنِّي، وإنَّما يُفيد الاستتارَ والخفاءَ الَّذي هو معنَى الجنِّ، ولهذا يُقالُ على الإطلاق: لعنَ اللهُ الشَّيطان، ولا يُقالُ لعنَ اللهُ الجنِّي.

والشيطانُ: اسمٌ لكلِّ عارمٍ من الجنِّ والإنسِ والحيوانات، قالَ تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112].

والجنِّيُّ: اسْمُ جِنسٍ، والشَّيطانُ صفةٌ، وقيل: الشَّياطينُ جنس،

(1) الكِرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص116، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/325، 327 - 328.

والجنُّ جنس، كما أنَّ الإنسان جنس، والفَرَسَ جنسٌ آخر، والجنُّ منهم أخيارٌ ومنهم أشرار، والشياطينُ اسْمُ أشرارِ الجنِّ ومُتمرِّديهم[1].

وإبليسُ أصلُه من اليَأس، قالَ تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون: 77] ومن ذلكَ اشْتقَّ اسْمُ إبليس، كأنَّه يئِسَ من رحمةِ الله.

وإبليسُ: أصلُ الجنِّ والشَّياطين، وهم جميعًا مخلوقون من مارجٍ من نارٍ، ويُقالُ: أَبْلَسَ؛ إذا حَزِن، ومنه اشْتُقَّ إبليسُ كذلك، قالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الرُّوم: 12][2].

(1) الرّاغب، المفردات: (جن)، وأبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/32، والعسكري، الفروق، ص: 307، والكفوي، الكليّات: 2/169، 3/54.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (بلس).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»